مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 06 العدد01 جانفي2023 ص ص 89ـ104
ر س ك و (ISSN): 2602ـX618 / ر س ك و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

مقاومة الكاهنة للجيوش الإسلامية الفاتحة لبلاد المغرب الأوسط 39–74هـ/658–693م

Al-Kahina Resistance to the Conquering Islamic Armies of the Middle Maghreb 39-74 AH / 658-693 AD.

أحمد دمانة[1]، بلعباس محفوظي♦[2]

المدرسة العليا للأساتذة عبد الرحمن طالب (الأغواط) [1]a.demmana@ens-lagh.dz

جامعة عمار ثليجي (الأغواط) [2] abassalgeria@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/07/23 تاريخ القبول: 2022/12/01 تاريخ النشر: 2023/01/31

الملخص باللغة العربية: الهدف من هذا البحث هو تسليط الضوء على مقاومة الكاهنة التي تعتبر نموذجا للمرأة المقاومة إعتقادا منها بأن المسلمين الذين جاءوا إلى بلاد المغرب الأوسط لم يقدموا إليها إلا لجمع الغنائم، بدلا من أن تفهم المغزى الحقيقي للفتوحات التي كانت تهدف إلى تحقيق الغرض الأسمى وهو نشر الإسلام وإنقاذهم من الجهل الدامس وإخراجهم من الوثنية الظلماء، إشتهرت هذه المرأة بلقب الكاهنة وبمقاومتها للفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب فكان لها حرب الأخذ والرد مع قائد جيش المسلمين حسان بن النعمان الغساني أثبتت فيه المرأة المقاومة التي دافعت بكل ماتملك وبكل قوة على بلادها ورفضت الإستسلام واختارت القتال حتى الموت.

الكلمات المفتاحية: الكاهنة؛ البربر؛ حسان بن النعمان؛ الفتوحات الاسلامية؛ المغرب الأوسط.

Abstract: The aim of this research is to shed light on the resistance of the Al kahina(priestess), who is considered a model of the resistance woman, in the belief that the Muslims who came to the countries of the Middle Maghreb did not come to them except to collect the spoils, instead of understanding the true meaning of the conquests that were aimed at achieving the ultimate purpose of spreading Islam and saving them. Out of complete ignorance and their expulsion from dark paganism, this woman was known as the Al kahina(priestess) and for her resistance to the Islamic conquests in the Maghreb, She had a war of give-and-take with the leader of

♦ المؤلف المرسل

the Muslim army, Hassan bin al-Numan al-Ghassani, in which the woman proved the resistance who defended with all she had and with all her strength over her country, refused to surrender and chose to fight to the death.

Keywords: Al kahina, Berbers, Hassan ibn al-Nu'man, Islamic expansions, the Middle Maghreb.

مقدمة: عرفت بلاد المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وصول الموجات الأولى للفتوحات الإسلامية، وأول الجيوش التي وصلت هذا القطر كانت بقيادة أبي المهاجر دينار في حدود سنة 59ه /679م، وثانيها كان بقيادة عقبة بن نافع الفهري سنة 64ه /684م، أما ثالثها فكان بقيادة حسان بن النعمان الغساني الذي إصطدم بمقاومة البيزنطيين في الساحل والكاهنة بناحية الأوراس هذه الأخيرة كان دفاعها في سبيل البلاد وإستعادة الأراضي قبل أن تفهم المغزى الحقيقي من وجود الجيوش الإسلامية وقيمة الدين الإسلامي وظنت أن المسلمين مثل الرومان والوندال والبيزنطيين غزاة جاءوا للإحتلال ونهب خيرات المنطقة، وبدلاً من أن تتحول الملكة مكروهة عند المسلمين أصبحت إمرأة شجاعة يحترمونها ورمزًا من رموز الذكاء والتضحية الوطنية بحيث ورد ذكرها عند الكثير من المؤرخين المسلمين.

تتمحور إشكالية البحث إلى معرفة تفاصيل حياة الملكة التي تعتبر رمزا من رموز الذكاء والقيادة العسكرية والتضحية في سبيل الوطن على غرار ماألفناه في المرأة الجزائرية بالمجال الإجتماعي والديني في التاريخ القديم.

ولدراسة تفاصيل الإشكالية نطرح مجموعة من التساؤلات نحاول الاجابة عليها في هذا البحث:

1.كيف كانت العلاقة بين الملكة ديهيا والملك أكسيل ؟

2.ماموقف الكاهنة من الفتوحات الإسلامية ؟

3.كيف كانت حيثيات الصراع بين الملكة وحسان بن النعمان ؟

المنهج المتبع في هذه الورقة البحثية هو المنهج السرد التاريخي للأحداث، إعتمادا في ذلك على المصادر وهو منهج لايمكن الإستغناء عنه في الكتابات التاريخية وتخللت

عملية سرد الأحداث منهج التحليل والنقد لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق وكثفت من الإستشهاد بالنصوص في المتن والهامش إما دعما لرأي أو مساندة لاستنتاج.

1- نسب الملكة وتسميتها:

حول نسب الملكة وتسميتها فإن المعلومات قليلة جدا لاتكاد تشغل صفحة أو صفحتين، مما أدى إلى إتجاه المؤرخين إلى بناء فرضيات وهذه الفرضيات غالبا ماتواجه بأخرى تؤدي إلى إستنتاجات مقابلة، فحتى الإسم وهو أول عنصر في التعريف يعاني من إشكالات و المنطقة التي تنتسب إليها والفترة الزمنية التي حكمت فيها.

لكن أغلبية المصادر إتفقت على أنها ولدت في سنة 585م بجبل الأوراس يرجح أنه الشليا نظرا لقربه من تخوم الصحراء والسهول والهضاب التي هي مرتع القبائل البدوية، نشأت الملكة في بيئة قبلية تحرم على النساء تولي زمام الأمور لكنها عرفت بالقوة والدهاء مامكنها من حكم قبيلة قوية كانت تخضع لها عصبيات زناتة[1]، جاءت جل المصادر أن الملكة حكمت البربر إستقواء~ بأبنائها الثلاثة ورثت حكم وملك الأوراس من أبوها لأنه لم يذكر إسم زوجها ولا إبنه الذي تولت الحكم بدل عنه وماساعدها في ذلك معرفتها بعلم التنجيم فيما يرويه الإخباريون العرب"بنون ثلاثة رئاسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم واعتزت على قومها ولما كان لها من الكهانة، فانتهت إليها رئاستهم ووقفوا عند اشارتها"[2].

كانت الكاهنة أول أمرها زوجا لرئيس من رؤساء قبيلة جراوة وجراوة إحدى قبائل البتر الحضر المقيمين في الأوراس، ولما توفي عنها زوجها وخلف لها ابنين أوصى لهما برياسة القبيلة من بعده والظاهر أنها كانت مسموعة الكلمة في قومها مهيبة الجانب بين

---

1 **زناتة**: من ولد زانا أو جانا بن يحي بن ضريس، تعتبر من اكبر القبائل البربرية وأوفرها عددا كما كان لها اثر كبير في تاريخ المغرب، كانت مواطنهم في صحراء المغرب ثم انتقلوا الى المغرب الأوسط حتى سمي بوطن زناتة وإليهم نسب بنو مرين. للمزيد انظر: ابن منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، ج1، مطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص154.

2- جفيمة عبد الطيف، **الملكة ديهيا تاريخ مغلوط**،الموقع الالكتروني: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=491378&r=0، تاريخ التصفح: 2015/11/6.

ذويها فاستطاعت أن تحفظ الأمر لإبنيها القاصرين ويستبعد أن استأثرت بالأمر من دونهما أو إستبدت بهما لدرجة أنها لاتردد عن تضحية نفسها في سبيلهما"[3].

يعتبر إسم الملكة ديهيا من الإشكاليات التي تطرح كثيرا ونعتقد أن إسم المرأة عموما في ذهنية المجتمع لايصح ذكره للعوام، ونفسه المجتمع الذي يستمد منه المؤرخ ذهنيته أو أن غيابها مرتبط بحكم القوي والمنتصر ولهذا لم تمدنا المصادر التاريخية التي تناولت الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بمعلومات كافية حول الملكة ديهيا والنص الأول الذي وصلنا عن هذه الملكة هو نص المؤرخ الواقدي وكل من جاء بعده أخذ منه فكان هناك تكرار نفس المعلومات مع بعض الفوارق والإضافات وربما يعود هذا الأمر الى قلة معلومات المؤرخين عن بلاد المغرب وعن الملكة ديهيا.

تعرف الكاهنة بإسم (ديما) او (دهيا) او (دهي)، بمعنى المرأة الجميلة ولقبت بالكاهنة لكونها تميزت بدهاء خارق وقسوة وشراسة قل نظيرها في مقاومة القائد العربي المسلم حسان بن النعمان الغساني الوالي الجديد على بلاد المغرب سنة 72هـ/693م وتفوقها في هذه المقاومة على الملك أكسيل، وتعرف الكاهنة بأنها إمرأة جميلة وشجاعة وقوية البنية وكان جميع من في المنطقة يخافونها ويطيعونها بسبب جرأتها وشجاعتها الكبيرة، كما كانت قائدة محنكة تحسن التخطيط الحربي وتستعد جيدا للمعارك التي تخوضها ضد الفاتحين العرب[4].

وقد اتفقت المصادر على لقبها الذي هو "الكاهنة" لكنها إختلفت في إسمها فكانت توسم بالكاهنة إلى غاية إبن خلدون الذي عرفها على أنها "ديهيا" وقدم سلسلة نسبها ويذهب بعض المؤرخين إلى أن اسمها "ديا" والبعض الآخر الى "داميا" Damyaفي حين يؤكد "شارل امانويل دوفريك charle Emmanuel أن أصل الإسم لاتيني "داميانا Damiana، ويمتد هذا التباين حول الإسم إلى معناه ومصدر إشتقاقه، فقيل إسمها "دهيا تدموتDyhia tadmut ومعناه الغزل الجميل، وقيل داميا Damyaويحيل إلى معرفة المستقبل وقراءة الأفكار أما في اليونانية فيشتق من karina وتعني الكائن الصافي أو النقي، ويقترب في العبرية من Cohenبمعنى الراهب، ومعنى إسمها مرتبط كما يقول "جون دوجو Jean Dejeux بالتنبؤ والإطلاع على المستقبل والسحر، وتنقل بعض

3 حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، ص242.

4-عباس كريم عبد الخفاجي، **حسان بن النعمان الغساني والكاهنة الزناتية**، مجلة العلوم الانسانية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، ع1، 2014، ص197.

القصص والأساطير حكايات عن قدراتها في كشف الجواسيس وحتى اللقب الذي هو موضع اتفاق إختلف في معناه انطلاقا من الإشتقاق والأصل الذي أخذ منه (عربي أو عبري "كهين")[5].

بالرغم من أن اسم الملكة الحقيقي غير معروف في المصادر وكل ماتقدم بها المؤرخون حول إسمها هي صفات لشخصية الملكة، إلا أنه يعتبر إعترافا منهم بهذه المرأة ولوجودها فعلا كعائق أمام الفاتحين.

2-ديانتها:

هناك معلومات قليلة جدا حول ديانة الملكة فالعديد من القبائل البربرية كانت قبل الإسلام تعتنق اليهودية، وقد أدى هذا الرأي الى توجيه الكثير من الكتابات حول معتقداتها[6]، لقول حسين مؤنس:"... **أما ثورة الكاهنة فثورة قبيلة يهودية إحتفظت ببقايا من الحضارة القديمة**.."[7] ، غير أن هناك من يذهب إلى مسيحيتها لتيمنها حسب بعض الروايات بنصب يجسد المسيح أو العذراء وهناك من قال أنها إحيائية Animiste،[8] فعلى العكس من ذلك تقول بعض الروايات أنه كان مع الكاهنة صنم عظيم من الخشب تعبده بمعنى أنها كانت وثنية[9].

وقد كان الصنم الخشبي الذي أشار إليه المالكي محل إهتمام كبير من قبل الباحثين ومعنى ذلك أنها كانت وثنية وقد هلل لهذا الأمر أولئك الذين تزعجهم أن تكون الكاهنة على الديانة الموسوية بل يزعجهم أن تكون في بلاد المغرب ديانة موسوية حتى قبل الإسلام، فظنوا أنهم عثروا على الحجة الدامغة التي تنفي عن الكاهنة وعلى قومها أن يكونوا على الديانة الموسوية، والغرض من تلك الروايات هو جعل الكاهنة على ديانة تناقض الإسلام وتعاديه بشدة فهمي مرة يهودية ومرة أخرى وثنية وذلك كله ممزوج بطقووسه السحرية.

---

5 جمال لخلوفي، **ديا الملكة المنسية "عناصر السيرة ومعالم الأسطورة"**، 2018، ص1-2.

6 Shlomo Sand, **The Invention Of The Jewish People**, Printed In, The US, New York ,2009,p199.

7حسين مؤنس، المرجع السابق، ص244.

8 جمال لخلوفي، المرجع السابق، ص2.

9عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، **فتوح افريقيا والأندلس**، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص69.

والحقيقة أنه يصعب الحسم في المسألة بالنظر إلى قلة المعطيات لكننا نعتقد أن النقاش يمكن أن يتطور إذا أخذنا بعين الإعتبار التفاعلات التي يمكن أن تكون قد حدثت بين هذه المعتقدات وذلك بالإعتماد على الشواهد الأنثربولوجية من المنطقة والتي نجد فيها الكثير من عناصر الديانات المختلفة بما يمنح للتدين طابعا خاصا ومميزا.

3-علاقة الكاهنة بكسيلة:

يبدوا أن علاقة الكاهنة بكسيلة وقومه وثورته غير واضحة، بها شك لاتؤيده الحوادث لكون الكاهنة قادت ثورة البربر بعد كسيلة، والحقيقة أن لاصلة بين كسيلة والكاهنة ولم تكن بين الاثنين علاقة ما، فثورة كسيلة هي مقاومة البرانس[10] المستقرين يعززهم الروم وينصرونهم لأنهم نصارى أو آخذون بأسباب الحضارة البيزنطية ودفاعهم كان عن النواحي العامرة الفسيحة التي كان هؤلاء البرانس الحضر يعمرونها ويفلحون أرضها ويرسلون سوائمهم في مراعيها وسفوحها وهي ثورة مدبرة مرسومة الخطة[11].

أما ثورة الكاهنة فثورة قبيلة طال عهدها بالإستقلال لضعف الحكام البيزنطيين وعجزهم من إخضاع البتر في الصحراء والهضاب، والراجح أن هذه المرأة لم ترفع راية العصيان إلا حين تسامعت لمسير حسان إليها، وأنها كانت مطمئنة في نواحيها ترقب مصير كسيلة ثم مصير الروم على يد حسان[12]، حيث أن العرب الفاتحين أخضعوا قبل الكاهنة بربر البرانس وقتلوا زعيمهم كسيلة على يد زهير ابن قيس وبقي عليهم الآن إخضاع الكتلة الثانية وهي البربر البتر في جبال الأوراس والتي كانت تقودهم الكاهنة.[13]

لكن هذا الرأي يتعارض مع ماجاء به إبن حكم حيث طرح فكرة وجود علاقة بين الملك كسيلة والملكة كاهينة وأن الأخيرة كانت طرفاً في الصراع الذي دار بين كسيلة

10**البرانس:** هم البربر المستقرون الذي ينزل معظهم في المناطق الساحلية القريبة من البحر والأخرى الجبلية عبر المغرب ،وقد تمكنت قبائل البرانس بحكم استقرارها ومجاورتها لسيف البحر ان تتحضر وتتأثل المال وتستفيد مما كان المهاجرون والفاتحون الأجانب بأتون به من مدنيات وثقافات كما نمت فيها لنفس السبب روح المقاومة وهذا ماجعلها تستميت في مقاومة العرب الفاتحين اما شعوبهم فاتفق النسابون على انها منحصرة في سبعة" ازداجة، أوربة، اوريغة، كتامة، مصمودة، صنهاجة، عجيسة للمزيد انظر: عبد الوهاب منصور، المرجع السابق، ص301-302.

11حسن مؤنس، المرجع السابق، ص243-244.

12حسين مؤنس، المرجع السابق، ص244.

13 احمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب الاندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، ص43.

والفاتح الأموي عقبة بن نافع، وانحازت إلى جانب ملك البرانس كسيلة:" وخرج ابن الكاهنة البربري على إثر عقبة كلما رحل عقبة من منهل دفنه إبن الكاهنة فلم يزل كذلك حتى إنتهى عقبة الى السوس ولايشعر بما صنع البربري فلما إنتهى عقبة إلى البحر إقحم فرسه فيه حتى بلغ نحره ثم قال: الله إني أشهدك ألا مجاز ولو وجدت مجازا لجزت... وانصرف راجعا والمياه " قد عورت وتعاونت عليه البربر فلم يزل يقاتل..."[14] وفي موضع آخر :"... ثم زحف إبن الكاهنة إلى القيروان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس فقاتلاه قتالا شديدا فهزم إبن الكاهنة وقتل أصحابه .."[15].

وهذه الرواية عن إبن الكاهنة محل نقاش بين المؤرخين بين أحقيتها وبطلانها، وهذا لا يصح لأن كسيلة ظل على إمتداد حملة عقبة ورجوعه أسيرا مقيدا، والمتفق عليه تاريخيا أن الذي قتل عقبة هو كسيلة أمير قبيل أوربة البرنسية وهنا نقول إما الإسم الذي أطلق "بإبن" الكاهنة على كسيلة إما خطأ أو عن إدعاء كسيلة بلقب إبن الكاهنة لإستغلال صيتها وتجنيد البربر إلى صفه ضد عقبة بن نافع[16].

خلفت الكاهنة كسيلة مما يجعل عدم انتمائهم لقبيلة واحدة، فكسيلة من أوربة الذي يرجعهم ابن خلدون إلى البرانس ويؤكد أنهم ينتمون إلى البرانس منذ أكثر من ثلاثة وسبعين عاما، وبوفاته انتقلت الزعامة لقبيلة أوراسية تحت قيادة الكاهنة، وهي قبيلة جراوة التي كانت مسيطرة على الأوراس الشرقي وحافظ المغرب على النوميديين كرؤساء له حتى أن جراوة أعرق في أوراسيتها من أوربة[17].

4- ثورة الكاهنة :

واجهت الكاهنة المسلمين الفاتحين مواجهة قوية دفاعا عن الهوية البربرية معتقدة في ذلك أن المسلمين مثل الرومان والوندال والبيزنطيين، لايهمهم سوى إحتلال أراضي الغير وإستغلال ثرواته وممتلكاته لذلك كان لمقاومتها العنيفة في نوميديا بالجزائر

14 ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ص226.

15 نفسه، ص227.

16 Ahmed Djelaili, **A New Reading Of Historical Accounts About The Rule Of The Barbarian Queen (Elkahina) And Her Resistance To The Islamic Army Of Counquest led By Hassan Ibn al-numan,** International Journal of Humanities And Educational Research, volume2, Istanbul, 2020.

17 أ.ف.غوتييه، **ماضي شمال افريقيا**، تر:هاشم الحسيني، دار النشر تاوالت، 2010، ص139.

أثرا كبيرا على التواجد العربي المسلم حسان بن النعمان الغساني في معركة "ممس"69هـ/688م قرب مدينة قيروان ثأرا لمقتل القائد عقبة بن نافع الفهري63هـ/682م على يد اكسيل قرب نهر الزاب بالجزائر[18].

ومعركة حسان بن النعمان الغساني مع الكاهنة تعتبر من المعارك الكبيرة التي خاضها الجيش العربي في بلاد المغرب، ودليل ذلك ماقاله حسان بن النعمان عند دخوله القيروان عندما سأل أهلها عمن بقي من أعظم ملوك بلاد المغرب الأوسط ليسير إليه فيبيده أو يسلم فدلوه على إمرأة بجبل الأوراس يقال لها الكاهنة وجميع من في بلاد المغرب الأوسط من الروم والبربر منها خائفون فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبقى لك ضد، هذا يدل على عظمة وقوة المرأة في المنطقة ومدى قوة المقاومة أنذاك[19]وفي هذا يقول ابن الأثير(555-630هـ/1160-1233م):"**لما صلح الناس قال حسان دلوني عل أعظم من بقي من ملوك إفريقية فدلوه على إمرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة ..وكانت بربرية وهي بجبل الأوراس وقد إجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة ..إن قتلتها لم تختلف البربر عليك بعدها..**"[20] ، إذا يفهم من النص أن القيادة آلت إلى الملكة من خلال نجاحها في بناء تحالف يوحد القبائل وهو الأمر النادر في تاريخ المنطقة خاصة وأنها امرأة لكن مانجهله كيف تمكنت من ذلك؟ كما تكمن الصعوبات أيضا في عدم التوفر على معطيات دقيقة حول طبيعة الخطاب الموجه نحو هذه القبائل حتى نكون تصورا عما إذا كانت "الكاهنة" تجسد فعلا عناصر الحركة القومية والتي لا يمكن تأكيدها دون الوصول إلى معطيات عن الخلفيات الإيديولوجية للملكة والخطاب المستخدم في استنهاض همة القبائل.

ومواجهة الملكة ضد حسان مرت بمرحلتين مرحلة الإنتصار ومرحلة الهزيمة:

1.4- مرحلة الإنتصار:

وصل حسان بن النعمان إلى القيروان واتخذها مركزا لعملياته العسكرية ثم رأى أن يتبع خطة عسكرية جديدة تقوم على لقاء أعدائه من الروم والبربر منفردين حتى يسهل عليه القضاء عليهم واحدا بعد الآخر قبل أن يتكتلوا ضده، وبدأ بقتال الروم وإستولى على

18 عباس كريم عبد الخفاجي، المرجع السابق، ص198 .

19 ابو العباس احمد بن محمد بن عذارى، **البيان المغرب**: في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ص62.

20 ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص135.

قرطاجة 74هـ/693م قاعدة بلاد المغرب القديمة واستولى على المدن الساحلية وطرد الروم منها، وبعد ذلك توجه حسان بكل قواته إلى البربر البتر في جبال الأوراس التي كانت تقودهم الكاهنة[21].

خرج إليها حسان بن النعمان بجيوشه ولما بلغ موضعا يقال له "مجانة" نزل بها وكانت قلعة لم تفتح فتحصن بها الروم فمضي حسان وتركهم وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل "أوراوس" في عدد لايحصى فنزلت في مدينة "باغية" فأخرجت من بها وهدمتها لأنها ظنت أن حسان يريد حصنها ليحصن به منها، وأقبل حسان بن النعمان حين بلغه الخبر إلى وادي "مكناسة"، ليتجه بعد ذلك إلى منطقة بها ماء ليعسكر فيها وهذه المنطقة هي نهر "نينى"، زحفت إليه الكاهنة هناك لكن لم يحدث مواجهة بحكم أن حسان رفض أن يقاتلها آخر النهار وأبى أن يقاتلها بالليل، وبات الجيشين وجها لوجه ليقتتلوا بعدها في الصباح في مواجهة كبيرة[22].

هنا وجب علينا وضع تعقيب حول هذا النص الذي تلفه الأسطورة والمبالغة التي نجدها في الكثير من الأخبار التي تروي أن الكاهنة وعن معاركها، فمثلا لانعرف كيف بلغ الملكة خبر بن النعمان وتحركاته، وهي مسألة مظطردة في العديد من المواضيع لكن السياق يوحي وكأن الملكة عرفت هذه الأمور من خلال قواها الخارقة **"وبلغ الكاهنة أمره"** لاعبر المعلومات الإستخباراتية التي ربما حصلت عليها ، وتبدواأيضا عبارات المبالغة في نقل الأحداث في كثير من المواطن **"في عدد لايحصى** .." وهو بذلك محاولة تفسير هزيمة المسلمين الذين إعتادوا أن يكون النصر بجانبهم خاصة وأنهم كانوا كثيرا مايربطون ذلك بأمور عقدية .

إنهزم حسان بن النعمان في هذه المعركة ومن معه من المسلمين ضد الملكة عام74هـ/ 693م [23] وأسرت الكاهنة ثمانين رجلا من العرب المسلمين، وتبعت الملكة الكاهنة حسان إلى تخوم تونس، فكتب حسان إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان 26-86هـ/646-705م يخبره بماحدث، حيث يقول له: " أن أمم المغرب ليس لها غاية،

---

21 ابو العباس احمد بن محمد بن عذارى، المرجع السابق، **ص**42.

22 علي محمد محمد الصلابي، **صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي**، ج1، دار الايمان للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2003، ص294.

23 Abdelmajid Hannoum, **Histoiriographie Et legende Au Maghreb : la kahine ou la Production d Un memoire**, New School for Social Research, New York,1999, p668.

ولايقف أحد منها على نهاية كلما بادت أمة خلفتها أمم، وهي من الجهل والكثرة كسائمة النعم، فعاد له جواب أمير المؤمنين يأمره ان يقيم حيثما وافاه الجواب "[24].

في مقابل إنهزامه سيطرت الكاهنة على شمال بلاد المغرب لمدة خمس سنوات وتشكل مملكتها اليوم جزء من الجزائر وتونس والمغرب وليبيا ومما قامت به أنها بسلوك حضاري أفرجت عن جميع الأسرى وعددهم ثمانين، وأعطتهم الحرية بعد أن رأت بأم عينها سلوكهم وتعاملهم البسيط الموافق لفطرة البربر وهذا يبين عظمة وإنسانية ملكة الأوراس، ثم قررت الملكة إبقاء أسير عربي واحد هو خالد بن يزيد تبنته وأقام عندها وعاش مع أبنائها الآخرين الذين تبنتهم أيضا ومنهم يوناني وبربري، "[25] وهنا نجد محاولة رسم صورة نمطية حول قضية التبني والرضاع وهو ماتختص به النساء دون الرجال لإبراز معالم الأنوثة للملكة ومن أجل التغطية على هزيمة حسان بن النعمان أمام امرأة ترضع الغريب وتتقرب من الرجال مثلها مثل أي امراة أخرى وهي التي قادت جيش بأكمله وسيرت الرجال فكان المؤرخ أن يجد حرجا في ذكر مجريات أحداث الحرب فلا بد له من تغطيتها دون معرفة ذلك فكان الأسلوب الوحيد للمغلوب هو التركيز على الأثر الأنثوي وجعله في قالب درامي عاطفي.

كما يبدوا أن الإحسان إلى الأسرى كان من تقاليد البربر العريقة، حيث أنهم دابوا على الإحسان الى الأسرى في معاركهم السابقة، فكيف لا تحسن اليهم الكاهنة بعد معركة "نيني" وقد يكون لتقرب خالد بن يزيد منها أثر كبير على إحسانها هذا، فمن المحتمل أن خالد بذل جهوده بعد أن أصبح أسيرا عند الكاهنة لإنقاذ إخوانه الأسرى فكان له ما أراد[26].

وفي هذا يقول ابن عذارى712هـ: **وحبست عندها خالد بن يزيد فقالت له يوما مارأيت في الرجال أجمل منك ولاأشجع وانا اريد ان ارضعك فتكون أخا لولدي، فقال لها وكيف يكون ذلك وقد ذهب الرضاع منك فقالت انا جماعة البربر لنا رضاع إذا فعلناه نتوارث به، فعمدت إلى دقيق شعير فلئته بزبت وجعلته على ثديها ودعت ولديها وقالت لهما كولا معه على ثدي..إنكم قد صرتم اخوة**[27].

24 بن عذارى، المرجع السابق، ص63 .
25 ابن الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص270.
26 علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص295.
27 ابن عذارى، المرجع السابق، ص37.

لكن محمد المالكي رأى في هذا التبني مبتغى آخر حيث أنها كانت تسعى من وراءه اتقاء المحاولات الانتقامية من قبل حسان بن نعمان وتجتنب ردود فعل المسلمين أو ربما تريد معرفة نوايا المسلمين في المستقبل لذلك وتعرف خطط قادتهم وكيف يفكرون وربما قربته اليها ليفشي اليها اسرار الخطط الهجومية التي يمكن ان يلتجأ اليها حسان[28].

وكان سوء تقدير حسان بن النعمان لقوة الكاهنة تقدير كافيا من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى هزيمته في موقعة (نهر البلاء) مما إضطر بعدها حسان للتراجع إلى برقة حيث بقي فيها أربع سنوات ينتظر الإمدادات التي وعد بها الخليفة عبد الملك بن مروان وخلال هذه المدة التي أقام بها في برقة أقام هناك قصورا سميت باسم قصور حسان[29].

ولكن مقاومة البربر بقيادة الكاهنة إستمرت بزعامة الكاهنة التي أحست بخطورة حسان، هذه المرة تحرق وتدمر القلاع لتعوق تقدمه وتقطع أشجار الزيتون مصدر ثورة البلاد فصمم حسان على قطع دابر مقاومتها خصوصا وقد إنضم إليه البربر المسلمون والنصارى الذين سئموا سياسة الكاهنة المدمرة[30].

والمصادر الإسلامية تروي أن الكاهنة رأت أن العرب لابد وأن يعودوا ثانية إلى بلاد المغرب الأوسط وتصورت أنهم لا يريدون منها سوى مدنها العامرة وما فيها من نفائس وخيرات، فلو أنها قامت بتخريب مراكز التمدن وإعادة البلاد إلى طبيعتها الأولى وهي حالة الرعي والبداوة فإن العرب لن يفكروا في غزو تلك البلاد مرة أخرة وتنفيذ لهذه السياسة اندفعت الكاهنة وقومها نحو المدن والأراضي الشمالية يحرقون أشجار الزيتون والكروم مصدر ثروتها ويخربون المدن والحصون حتى صارت أرضا خرابا[31].

وقبل قيام حسان بن النعمان من قابس وافته وفود البلاد ليستنجدوا به ويطلبون منه انقاذهم من جور الكاهنة، وروى المؤرخون في ذلك أن جموع النصاري كانت في كل مكان تتقدم لإستقباله بالبشائر والأفراح وكانوا يرونه كمخلص حقيقي بعثه الله لإنقاذهم

---

28 ابو بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس**، ج1،ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994، ص54 .

29 ابن شاكر ابي القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق**، ج1، دار الفكر، بيروت، ص451.

30 ابن الأثير، المرجع السابق، 1995، ص136.

31 العبادي، المرجع السابق، ص44.

باسم الإسلام من جور الكاهنة وعتوها، فكان يستقبلهم بالرضا ويعاملهم بالعدل والإحسان[32].

وفي ذلك يقول أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي1058م: "سيطرت الملكة لمدة خمس سنوات وقالت للبربر إن المسلمين إنما يطلبون ...المدائن والذهب والفضة ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا أرى لكم إلا خراب كلها، حتى ييأس منها المسلمون فلايكون لهم رجوع إلى آخر الدهر فوجهت البربر يقطعون الشجر ويهدمون الحصون ..وكانت افريقية من طرابلس إلى طنجة ظلا واحدا متصلة الشجر فأخربت ذلك كله فخرج من النصارى ثلاثمائة رجل يستغيثون بحسان فيما نزل بهم من الكهانة من خراب الحصون وقطع الاشجار ..."[33]، الواقع أن نص الواقدي المشار إليه آنفا يتضمن الإشارة إلى قسوة الكاهنة وشدتها لكن في نص تاريخي يعتمد على المرويات الشفوية يمكن للفكرة أو الصورة الصغيرة أن تكبر مع الأيام وتوالي السنين، وهنا يجعلنا أمام تسائل أن فعلا هي سياسة مهزوم أمام جيش على وشك الانتصار في الحرب أم هي نظرة فتوح وجب الوقوف مع الدين الإسلامي وهذا ماجعل الواقدي وغيرهم من تغاضيهم في كتاباتهم حول الأسر والتجريد من طرف حسان بن النعمان مثل هذه الجزئية تتطلب دراسة نقدية موضوعية.

2.4- مرحلة الهزيمة:

قرر حسان مقاتلة الكاهنة عندما أمره الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأمده بإمدادات عسكرية وعتاد ومؤن سنة 74هـ/693م [34]، على الرغم من إنشغالات الخليفة في إخماد الثورات المعارضة في الشرق والشام وشبه الجزيرة العربية، فاتجه حسان بجيشه صوب مملكة الأوراس لمنازلتها بعد أن جمع كل المعلومات التي ارسلت له من قبل خالد بن يزيد والتي تتعلق بالأوضاع السياسية التي كانت عليها المملكة، حيث إنتهز خالد ين يزيد فرصة عناية الكاهنة بأمره وإبعاد الرقباء عنه، وقام يراسل حسان ويصف له أمر الكاهنة وحال بلاد المغرب في حكمها وهذا ماجعله يصبح عينا على البربر وبذلك أفاد حسان بن النعمان فائدة كبرى "، وفي هذا يقول ابن عبد الحكم: "بعث حسان إلى خالد رجلا فأتاه

32 عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال افريقيا**: من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الأغلبية، ط2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1990 ، ص76.

33 ابو بكر عبد الله بن محمد المالك ، المرجع السابق، ص53 .

34 ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج7، دار الفكر، لبنان، 2000، ص13.

فقال له أن حسان يقول لك مايمنعك من الكتاب إلينا بخبر الكاهنة فكتب خالد ابن يزيد إلى حسان كتابا وجعله في خبزة ملة...ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب فيه علم مايحتاج إليه ثم كتب إليه أيضا كتابا آخر... فخرجت الكاهنة أيضا وهي تقول يابني هلاككم في شيء من نبات الأرض ميت فكررت ذلك"[35].

إنتهز حسان بن النعمان هذه الفرصة المواتية وخرج بجيش ضخم إلى بلاد المغرب الأوسط سنة 80هـ، ولا شك أن ضخامة هذه الجيش ترجع إلى إنضمام عدد كبير من البربر إلى صفوفه لمحاربة الكاهنة وتقول الرواية أن الكاهنة تنبأت مقدما بنتيجة هذه المعركة وأمرت ولديها بالتوجه إلى معسكر القائد العربي والإنضمام إليه، أما هي فقد فقررت أن تحارب حتى الموت[36]، وضعت الملكة في هذه الصورة بالمرأة الضعيفة التي لاإرادة لها وذلك عند الإلتجاء الى المسلمين الممثلين في شخص خالد من أجل ضمان حماية ولديها دون سائر قبيلتها والمرأة الخائنة الأنانية التي تفضل حماية ولديها فقط وترك قومها لمصيرهم وهي ليست من صفات القائد الراجح وبالمقابل إبراز للقوة العربية من خلال إخضاع العرب للملكة والإنتصار عليها .

أخذت الكاهنة تتراجع موغلة في جبال الأوراس، وأخذ حسان يطاردها ، وإلتقى حسان بجيوش الكاهنة عند مدينة قابس، فهزمها وأخذ يطاردها إلى أن قضى على جيشها وقتلها سنة 82هـ/701م في مكان يعرف ببئر الكاهنة في جبل الأوراس[37]، وهناك رواية تقول أن الملكة لم تقتل في المعركة بل فرت وتتبعها حسان حتى ضفر بها وقتلها وهذا الرأي الرقيق القيرواني420هـ/1029م بقوله:" ..فانهزمت الكاهنة وإتبعها حسان حتى قتلها ونزل في موضع الذي قتلت فيه بئرها وعليه بقى رأسها، فسمى الناس هذا البئر "بئر الكاهنة" إلى اليوم[38]، أما المالكي فيروي روايتين حول مقتل الكاهنة الرواية الاولى يشير فيها إنهزام الملكة في المعركة ثم هربها للتحصين بجبال الأوراس:"...فقاتلهم حسان فهزمهم الله عزوجل وهربت الكاهنة تريد قلعة بسر للتتحصن بها فأصبحت القلعة لاصقة بالأرض فهربت تريد جبال الأوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده.."[39]، والرواية الثانية: فذكر فيها

35 ابن الحكم، المرجع السابق، ص229.

36 احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص44.

37 عبد الواحد ذنون، **الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس**، ط1، المدار الإسلامي، ليبيا، 2004، ص125.

38 الرقيق القيرواني، **فتوح افريقية والمغرب**، ط1، دار فرجان، 1994، ص49.

39 المالكي، المرجع السابق، ج1، ص54.

مصير بعد تتبعها والنيل منها قائلا:"...وقدم خالد بن يزيد على أعنة الخيل فالتقى القوم ووضعوا السلاح بعضهم على بعض وصبروا حتى ظن القوم من المسلمين أنه الفناء فانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر فسماه المسلمين بئر الكاهنة ..ويقال أنها قتلت عند طبرقة .."[1] وهنا وهنا المالكي ذكر روايتين الأولى مقتلها في موضع بئر الكاهنة والآخر أنها قتلت في مدينة طبرقة.

كانت هذه المعركة قوية بين الطرفين أثبتت فيه الملكة الثبات والصمود، حتى أن البعض شبهها بأبطال خرافيين من اليونان القديمة التي ذكرتهم إلياذة هوميروس، وماجعلهم يشبهونها بالإلياذة مابينته من ثبات عجيب يفوق الحديث عن الأبطال الخرافيين الذين خلقتهم مخيلة هوميروس شاعر الإلياذة، وبعد معركة صارمة ذهبت هذه الملكة ضحية الدفاع عن البلاد"[2].

هكذا قضى العرب المسلمين على آخر خرجة قام بها أهالي البلاد لردهم، إذ كانت الكاهنة هي الحصن الأخير الذي إحتمى وراءه أهل البلاد، فلما سقطت انتهت كل مقاومة ولم يبق أمام العرب الفاتحين بعد ذلك إلا غبار قبائل.[3]

فبعد أن فرغ حسان من إسترداد بلاد المغرب الأوسط والقضاء على مقاومة البربر والروم أخذ يبعث عماله إلى سائر بلاد المغرب، كما عمل على نشر الدين الإسلامي بين البربر فوزع الفقهاء إلى سائر انحاء البلاد لتعليمهم قواعد الدين ونشر اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن فأقبل البربر على الإسلام وحسن إسلامهم فجند حسان منهم أجناده حتى أصبح أكثر جيشه من البربر، ووزع بينهم الخطط على نحو ماكان يفعله القادة الفاتحون في مصر[4].

مصر[4].

الخاتمة: وهكذا فإن الكاهنة كانت على قوة عظيمة بفعل ما إجتمع وراءها من حشود وهذا ماجعل بعض المؤرخين يطلق عليها لقب ملكة المغاربة، فقد كانت تمثل قوة كبرى فى جبال الأوراس وزعيمته لقومها من قبائل جراوة وسائر زناته، وعموم القبائل تدين لها بالولاء والطاعة ولا تخالف لها أمرا، وبدلا من أن تتحول الى ملكة مكروهة عند

1 المالكي، المرجع السابق، ج1، ص55.

2 عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص77.

3 حسين مؤنس، المرجع السابق، ص259.

4 عبد العزيز السيد سالم، **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي**، ط2، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1992، ص164 .

المسلمين أصبحت رمزا من رموز التضحية فى سبيل الوطن ورمزا في الصمود وإمرأة شجاعة يحترمونها، ورد ذكرها عند الكثير من المؤرخين المسلمين، بالرغم من ديانتها أو من واجهتهم من رومان وعرب فاتحين، خطأها الوحيد أنها ظنت ظن السوء بالفتح الإسلامي وإعتبرت المسلمين كغيرهم من الغزات يرغبون فقط في إغتصاب أرضها وإستعباد شعبها، كما كان الحال مع البيزنطيين وقبلهم الوندال والرومان.

قائمة المراجع العربية:

- أ.ف.غوتييه، **ماضي شمال افريقيا**، دار النشر تاوالت، 2010.
- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار الكتب العلمية4، ط1 ، 1987.
- ابن خلدون، ، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، لبنان: دار الفكر، 2000.
- بن عبد الله الشافعي ابن شاكر ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله، **تاريخ مدينة دمشق**، بيروت: دار الفكر، 1995.
- ابن منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، الرباط: مطبعة الملكية، 1968.
- ابو بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس**، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط2، 1994.
- بن عذارى ابو العباس احمد بن محمد ، **البيان المغرب: في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تونس: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2013.
- الثعالبي عبد العزيز ، **تاريخ شمال افريقيا: من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الأغلبية**، لبنان: دار الغرب الاسلامي، ط2، 1990.
- جفيمة عبد الطيف، **الملكة ديهيا تاريخ مغلوط**،الموقع الالكتروني: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=491378&r=0، تاريخ التصفح: 2015/11/6.
- الخلوفي جمال، **ديا الملكة المنسية "عناصر السيرة ومعالم الأسطورة"**، 2018.
- ذنون عبد الواحد، **الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس**، ليبيا: المدار الإسلامي، ط1، 2004.
- الصلابي علي محمد محمد، **صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي**، الاسكندرية: دار الايمان للطبع والنشر والتوزيع، 2003.
- العبادي احمد مختار ، **في تاريخ المغرب الاندلس**، بيروت: دار النهضة العربية.
- عبد الخفاجي عباس كريم، **حسان بن النعمان الغساني والكاهنة الزناتية**، محلة العلوم الانسانية، جامعة بابل، العراق، ع2014،1.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، **فتوح افريقيا والأندلس**، بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، 1964.

- عزب محمد زينهم محمد، **تاريخ افريقية والمغرب**، القاهرة: دار الفرجان للنشر والتوزيع، ط1، 1994.
- مؤنس حسين، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية.

قائمة المراجع الأجنبية:

- Abdelmajid Hannoum, **Histoiriographie Et legende Au Maghreb**: la kahine ou la Production d Un memoire, New York: New School for Social Research, 1999.
- Shlomo Sand, **The Invention Of The Jewish People**, New York **:** New York Printed, The US, 2009.